قصة قصيرة

بقلم / جمعة محمد جمعة*

لجنة الكبريت

أخيراً وقع المحظور، اقتربت النهاية، النقاط تتقافز يمنة ويسرة، وفي كل اتجاه، أوشكت على الاستقرار، ويدخل دوامة الأقوال، عليه أن يهيىء نفسه للصراع مع المحقق، مع الاتهامات، مع بعض النقاط التي لا تزال حائرة تهدد...

منذ عاد من رحلة الحج، يتقلب على الجمر، يسير في الطريق كتائه أبله، ينصرف عمن يحدثه كغبي أحمق، بعض الرؤساء يتهمونه بالدروشة، وتلوث العقل بالخرافات، كل المعاناة في البيت، الابن يقرن كلامه معه بالتشويح، والاتهام بالشيخوخة المبكرة، الإبنة ترثي حاله في صمت، تكاد تبكي في حضرته، لا تجرؤ على انتقاده، الزوجة يئست من إصلاح حاله، تبحث مع عائلتها خطوات الحجر على عقله، تخشى الإملاق، العودة إلى الحياة المغمورة القديمة..

يقضي كل أوقاته باحثاً عن السبيل، لا يريد جرعة ماء، ولا ضوء شمعة يهديه في الظلام، يريد الهروب من الشباك التي وقع في حبائلها، لا يستطيع الفكاك من براثن الطيور التي سقطت معه، وأعجبتها السقطة.

- لا يا رجل، لا يهمك شيء، لا أحد يدري..

يقول وهو أقرب إلى البكاء:

- الرائحة تسري من الأنوف إلى الأفواه، تترجمها الألسن في خفوت..

الطيور تحيط به، يتصدر باب منجم الذهب ولا سبيل إلى إغلاقه ولو قامت الحرب العالمية، تساوت كفتا ميزانه، الحياة والموت، عمل لحياة أسرته نهراً، فاض النهر، وأغرق فيضانه الأهل والمعارف والأحباب، وجد نفسه أخيراً ضد تيار النهر الذي أنشأه من عدم...

لعن المؤسسة التي التحق بها، بعدما صار مسؤولاً عن أسرة، عين في المخازن، عضواً بارزاً في لجان شتى، المشتريات، المناقصات، المقايسات، لائحة المؤسسة صريحة، من تثبت إدانته يُفصل دون تنبيه أو إنذار، تسقط كل حقوقه، يحال إلى النيابة العامة، إذا كانت جريمته جسيمة..

كافأته المؤسسة بترشيحه للحج، زميله استغفر وتاب وأناب، دفن نظيفاً من أدران الحياة في الأرض الطاهرة، بريئاً مما اقترفت يداه، أما هو ففي صدره شيء يرفض الغفوة أو النوم، استقامة الأمور أمل تدفعه الطيور عنه، تنهش لحمه بأظافرها المدببة الدامية، تكدست الأوراق أمامه، كلما امتدت يده للتوقيع أصابها الشلل، دموع عينيه ساحت بالحبر، واختلطت الحروف، وقع في تحقيق إداري لتكاسله عن إنجاز أعماله، نال لفت النظر...

التوعد من الرئاسة، إذا تكررت المخالفة، الوعيد من الطيور، إذا حاول غلق باب المنجم، أو حال بينه وبينهم، الثورة متأججة في البيت لإغلاقه أذنيه أمام مطالبهم الكثيرة، في المسجد يهتز وجدانه، يتزلزل كيانه، قال الله وقال الرسول، والإمام، كان في ديارهم، أخرجوا قلبه المتدرن وأبدلوه بقلب كقلب الطفل، أخرجوا معدته وطهروها من الحرام، انتزعوا عينيه الشبقة المتطلعة، وقف عارياً وغسل بدنه بماء زمزم الطهور...

الطيور جارحة فتاكة، تشهر السيوف القديمة، تنغرز ذؤاباتها في رقبته، صدره، قلبه، ظهره:

- وقع الأوراق وإلا كنت وحدك الفداء...

فكر في الإستقالة، لا يستطيع التكهن بما تحمل بطن الأيام، غِنَى اليوم قد يصبح إملاقاً، رصيده المتضخم قد يصير أصفاراً، فيلاته قد تنكمش إلى شقة، رفاهيته قد تصبح ضنكاً، استبعد فكرة الاستقالة، لاستحالتها مع تقلب الدهر، وفقدان أمان الأيام..

(*) قاصّ مصري، فاز بعدة جوائز أدبية في مجال الرواية والقصة القصيرة.

قصة قصيرة

عندما استبعد البطل فكرة الانتحار واستغفر وتاب وأناب..

فكر في الانتحار، كان في الجنة منذ أشهر قليلة، اليوم يزج بنفسه في النار، أيجحد نعم الله عليه؟ يقول يائساً «يا ليتني ما ولدت من أربعين سنة، ويا ليتني ما ولدت ثانية منذ عدة أشهر»، استبعد فكرة الانتحار لتناقضها مع حقيقة نواياه.

انتهت اللجان من الاتفاق على هدايا السنة الجديدة، وقع الأوراق تحت ظلال السيوف، قدمت الدعوى إلى المحكمة، تحدد موعد جلسة الإعدام...

وقف كالمذهول، محامي الخصوم يتهمه بالسفه، وفقدان العقل والاتزان، يطلب الحجر على تصرفاته، التي بددت بعض ما لا حق له فيه، الخصوم زوجته وأولاده يؤكدون وقوعه في براثن بعض الدراويش، ينفق عليهم بلا حساب، يخشى الخصوم أن يتركهم فريسة للفقر والعوز، القاضي يطلب منه الرد، ختمت المفاجأة فمه بالشمع الأحمر، تأجلت القضية لحين استطلاع رأى المؤسسة.

بدأ توزيع الهدايا على الموظفين، على المؤسسات الأخرى والشركات، ملأت الطيور أعشاشها بالقيمِّ منها والثمين، زادت حصيلتهم هذا العام باقتسام حصته، رغم أنه وقع كافة الأوراق..

أخيراً وصلت صناديق الكبريت الى المخازن، نوع من الإعلان اخترعته اللجنة، لما فيه من مغنم كبير، تسرب خبر عن عمولات لاختيار أردأ الأنواع بأعلى الأسعار، تدلى حبل المصباح لاصابة عينيه بالرمد، تراقص حبل المشنقة مكللاً بتاج الفضيحة المزدان بالأجراس، الأجراس لا تكف عن الدق، تنطفىء مصابيح صغيرة داخل رأسه، تبدو كفقاقيع رغوية فوق سطح الماء، لا يُسمع لها صوت، تموت خلايا جلد الرأس، ينتزع شعره ولا يتألم، شيء ما في القلب يضمر، الرائحة تجوب أروقة المؤسسة، تتسرب إلى الحجرات من تحت الأبواب، تدور رحى الكلام، ويرتفع الصوت ويصك الأسماع، لأنها تسحق الحجر، يتسرب خبر من مكتب رئيس المؤسسة بإحالة أعضاء لجنة الكبريت إلى النيابة العامة، أشعل عود ثقاب، لثم اللهب طرف سيجارته، أطفأ العود وألقى به أرضاً، تناول أنفاس الدخان في هوادة، يسبح مع موجات الدخان كطائرة ورقية في الهواء، شيء بالرأس تمدد، انكفأ رأسه فوق المكتب، سقطت السيجارة، تدحرجت، قبلت ذؤابتها المتوهجة أول صندوق كبريت صادفها.

□ □ □

قواعد النشر في المجلة

١ - لا تنشر المجلة أي موضوع سبق نشره.

٢ - موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة ولا توزع على عددين.

٣ - يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح، مع ضبط الشعر والشواهد.

٤ - يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل ليمكن وصول المكافأة الرمزية إلى الكاتب.

٥ - ترسل نبذة عن الكاتب في حدود سطرين.

٦ - يرجى توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.

٧ - الموضوع الذي لا ينشر لا يعاد إلى صاحبه.

الإسلام وضوابط العمل الأدبي

د. أحمد بسام ساعي*

لم أكن أظن وأنا أغادر بلدي نهائياً لأستقر في أوروبة أن الإسلام ينتظرني هناك، لقد كنت من أسرة عريقة حقّاً تنتمي إلى السلالة النبوية، وأب متصوف له مريدوه الكثر، ولكنني كنت بعيداً عن الدين والتدين، يستهويني ما يستهوي شباب هذا اليوم من أضواء حضارة الغرب، التي تعشى الأبصار وتخلب الألباب وتنأى بالقلوب عن ذكر الله.

ثم حدث أن طلب مني زميل كلّف بإلقاء خطبة في أحد المساجد الصغيرة، أن أساعده في ترجمة الخطبة إلى اللغة الإنجليزية، وبحياء جمّ عُرفت به منذ طفولتي اضطررت كارهاً إلى الاستجابة لطلبه، وعكفت على الخطبة المكتوبة أترجم فقراتها وآياتها وأحاديثها، ولم تكن الترجمة بالسهولة التي ظننت. إذ كان عليّ أن أعود إلى عديد من الشروح لترجمة الحديث الشريف، وإلى أكثر من تفسير لترجمة الآيات، ووجدتني، وأنا ألاحق معاني هذه النصوص الإلهية والنبوية لأول مرة، مأخوذاً بما فيها، وهي تتكشف لي، وتنقلني إلى عوالم بعيدة، لم أكن أحلم بأن أرتفع إلى سمائها، وأنهل من معينها الساحر الأخاذ.

لقد شعرت وأنا أتتبع معاني الآيات لأضع ترجمة لها أنني أنا المقصود بكل كلمة، فالتساؤل كان لا يفارق مخيلتي: لمن تتوجه بخطابها هذه الآيات؟ ألست أنا المعني؟ إنها ولا شك رسالة من خالقي إليّ، فأين كنت غافلاً عنها طوال هذه السنوات التي انقضت من عمري؟ ولم تلبث الدموع أن انهمرت من عيني وأنا أشعر بنشوة عجيبة تعتريني من مفرقي إلى أخمص قدمي، وكانت تلك نقطة التحول في حياتي نحو الإسلام.

كان يروي لنا هذه الحكاية ودموعه تكاد تنهمر من عينيه من جديد، لتؤكد لنا حرارة تجربته، وأثرها الكبير في حياته.. وانفعل الحاضرون بقصته. ولعلي كنت بين أكثرهم تأثراً وانفعالاً، إذ لم ألبث أن رحت أقص عليهم قصة إيماني.

فمنذ كنت في العاشرة، كانت والدتي، شأنها شأن بقية الأمهات في بلدي ذلك الحين تأمرني أيام الامتحان أن أتجه إلى «المغربي»، وليّ صالح دفن على هضبة مرتفعة وسط المدينة، وأقيم على قبره مسجد كبير، فأصلي الفجر هناك ثم أتجه إلى القبر، وأسأل صاحبه التوفيق والنجاح (يا مغربي وفقني، يا مغربي نجحني) ثم أقرأ على روحه الفاتحة، وألتقط من على أطراف القبر ورقة ريحان، ما يفتأ الموكول إليه حراسة القبر يجدد أغصانها، ويتخلص من القديم منها، فأضع الورقة تحت لساني ثم لا ألفظها حتى أخرج من قاعة الامتحان.

للكلمة مسؤولية عظيمة في الفكر الإسلامي..

وظل ذلك دأبي لسنوات، حتى يسّر لي رجل من سلفية أهل الشام كان يتردد على اللاذقية مرة كل شهر، فجلست إليه، واستمعت منه لأول مرة ما كشف لي أنني لم أكن مسلماً حقيقياً، وكيف أكونه وأنا، كما دعا الجاهليون قبل الإسلام اللات ومناة، أدعو اليوم في القرن العشرين ولياً آخر من دون الله، وأردد محتجاً، كما ردّد الجاهليون، ﴿**ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ .... وكانت العودة إلى الإيمان على يد ذلك الشيخ، الذي لم يتخذ طريقه إلى قلوبنا وعقولنا إلاّ بالمنطق والنص والبرهان.

هاتان الحكايتان اللتان وقعتا لي قبل أيام في جلسة سمر ضمتنا مع بعض الزملاء في أوكسفورد أثارتا في رأسي تساؤلات عدة:

١- أية خطورة تحملها مسؤولية الكلمة؟

٢- ما الشكل الذي تتخذه الكلمة؟

٣- ما الوسيلة التي تتخذها مركباً إلينا؟

٤- ما الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه فينا؟

على هذه التساؤلات أحاول الآن أن أجيب بأكبر قدر من التركيز والاختصار.

يقول تعالى: ﴿إن السمع والبصر

(*) أديب وناقد سوري، صدر له عدد من الدراسات والمؤلفات، مارس التدريس في عدد من الجامعات العربية، وفي أكاديمية الملك فهد بلندن.

والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ (الاسراء:٣٦)

وقيل للحسن البصري: لم قلّ كلامك؟ قال: إنني أزن الكلمة قبل أن أقولها، فإن وجدتها ستضاف إلى ميزان حسناتي قلتها، وإن وجدتها ستضاف إلى ميزاني سيئاتي أعرضت عنها، وقد رأيت أن أكثر ما أقول سيكون في ميزان سيئاتي فقلّ كلامي.

مسؤولية الكلمة:

ولأن المسلم يدرك أنه محاسب على كل كلمة يلقي بها أو يكتبها للآخرين، ولأنه يدرك أن مسؤولية الكتابة أعظم من مسؤولية الإلقاء، لأن لها صفة الدوام والتوارث والانتشار عبر البعدين الزماني والمكاني، فإنه يشعر، وهو يمسك بالقلم، بعظم ما هو مقبل عليه.

حين كنت في مقتبل العمر اعتدت أن أكتب بالطريقة التي أتكلم، فلا فرق عندي آنذاك بين العملين إلاّ في اللغة، تلك بالفصحى وهذه بالعامية، وكلما خضت في بحر العمر والتجربة والنضج زدت إدراكاً لخطورة الفرق بين العمليتين، فلم تعد الكتابة عندي ممارسة يومية تلقائية، كالتنفس والمشي والنوم، لقد غدت مخاطرة جمة أشعر بعظمها كلما أمسكت بالقلم، وهممت بجره على الصفحات، إن الكلمات الآن تسجل عليّ، إنها توشك أن تملكني وقد كنت أملكها، وأن تكون عليّ وقد كانت قبل لحظات لي، وأن تفسد أو تصلح، أفراداً، أو ربما جيلاً، ومن بعدهم أجيال وأجيال إلى قيام الساعة، وهي حقيقة تفرض عليّ شروطاً ليس من السهل مراعاتها:

١- إنني مسؤول عن وقتي وخبرتي، فيم أفنيتهما وأنا أخط هذه الكلمات.

٢- وأنا مسؤول عن وقت قرّائي بعد ذلك: فيم أضعته.

٣- وأنا مسؤول عن شهادتي التي أدليت بها لتوي، هل كانت شهادة حق أو شهادة باطل.

٤- وأنا مسؤول عن الشجرة التي ستنبتها كلماتي من بعد في نفوس قرّائي، هل ستكون شجرة خبيثة أم شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، لقد استطاع حديث واحد من ذلك الشيخ السلفي أن يحوّلني من مسلم مدخول الإيمان إلى مسلم مؤمن حقاً، فهل ستحوّل كلماتي أحداً؟ وفي أي اتجاه؟

٥- وأنا مسؤول أولاً وأخيراً أمام الله عن ربحي وخسارتي، وأنا أتناول سمعة الآخرين وأعراضهم بقلمي، حتى لا أكون المفلس الذي عرّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال:

المفلس ليس من لا مال له، لكنه من ذل طريقه إلى الحياة السوية

«أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

إنها المسؤولية الأخلاقية التي تطالبني بمستوى رفيع من التعامل الإنساني الحضاري مع الآخرين، حتى إن خالفونا، والمعارضين حتى إن اشتدوا علينا، وأن نرد عليهم بروح الشافعي حين يقول: «رأينا صواباً يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب، ومن جاء بأفضل من قولنا قبلناه». وتتعاظم مسؤولية الأديب المسلم مع تعاظم دور الكلمة في هذا العصر، وتعاظم التطور السريع لوسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، ومع تسارع نمو الشخصية المسلمة وحركة تبلورها واستقلالها التي بدأت تأخذ دورها على ساحة العمل الفكري والسياسي، وبشكل فاجأ الجميع، منذ ما يقرب من عقدين من السنين.

وعندما نتحدث عن «استقلال» الشخصية المسلمة، في الوطن العربي على الأقل، فإننا نضع في حسابنا خط السير الذي اتخذته هذه الشخصية، على مدى القرنين الأخيرين. فمنذ حمل نابوليون معه إلى مصر مطبعته المشهورة على أعتاب القرن التاسع عشر، بدأت عملية الغَزَل والتواصل بين الشخصية العربية المسلمة، والشخصية الغربية الطارئة عليها، لقد أخذت ثقافة الغرب تغزونا برفق من خلال تلك المطبعة، بقدر ما بدأت تساعدنا على أن ننفض الغبار عن تراثنا، ونستعيد وعينا المفقود على مدى عدة قرون.

ثم يتحول التواصل والغَزَل إلى خطوبة رسمية على يد محمد علي، وحركة الابتعاث إلى الغرب، وعجلة الترجمة التي بدأت تدور بقوة تتناسب طرداً مع عدد المبتعثين العائدين إلى أوطانهم.

وتلي ذلك مرحلة الزواج التي تحققت عند محطات عربية مختلفة ومتباعدة، نزل فيها على شواطئها جنود الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي، ليحملوا معهم مرة واحدة كل ما ملكوه، وما كنا نحلم به، من عصارة حضارتهم الجديدة، التي أذهلنا تسارعها، وقرعت آذاننا أصوات محركاتها، وأعشتنا أضواؤها.

وأثمر هذا الزواج نوعين من الأبناء، فأشبه بعضهم أباه ولحق بعضهم بأمه، وهكذا جرف التيار الوافد أرتالاً من الشباب، فكان منهم المتحرر والمتغرب، واليساري والاشتراكي، والشيوعي والوجودي، وكان منهم المحافظ والمتمسك بقوميته، والقابض على دينه، والعاضّ بنواجزه على أخلاقه

وتقاليده، بل كان منهم من تطرف، فلم يقبل حتى تلك النواحي الإيجابية المضيئة في حضارة الغرب، فرفضتها معدته، ولم تستسغها طبيعته، مثلما تشدد فريق من الطرف الأول فأحجم عن الأخذ بكل ما يمت إلى التراث والتاريخ والدين بصلة، وقطع الجسور بينه وبين الماضي، وأحرق كل السفن التي قد تغريه بالعودة إليه.

فرحة تاريخية:

ومن خلال العلاقات والمداخلات، والاشتباكات والمصادمات الحميمة التي جرت بين الفريقين على مدى أكثر من نصف قرن (منذ العشرينات حتى السبعينات). كان علينا أن ننتظر ولادة جيل جديد، يرث ذلك الجيل، جيل يعوّل على التراث والدين، بقدر ما يفتح صدره للحضارة، ليستنشق من عبق فكرها، ويتذوق الحلال من أطايبها ويستمتع بالمفيد من مكتشفاتها، وهكذا تذوب، تحت حرارة شمس الواقعية العقلية الناهضة، كل الدعوات الغريبة ذات الألوان الفاقعة، التي ظهرت على ساحة الوطن العربي بعيد فترة الإخصاب، تلك التي أثمر عنها الزواج غير المتكافيء الذي وقع بين الحضارتين، فتخبو شيئاً فشيئاً أضواء القومية العربية، وتبهت مع السنين ألوان الاشتراكية، حتى تكاد لا تميّزها في كثير من جوانبها عن الرأسمالية، ويقترب اليسار المتطرف من اليمين المتطرف، اقتراباً سلبياً حيناً (حالة القومية السورية والاشتراكية) وإيجابياً حيناً (عودة عديد من مؤصّلي الفكر الاشتراكي العربي إلى الإسلام، أو الكفر بالإشتراكية على الأقل). وتحولت ساحة الوطن، في كثير من بقاعه، إلى بوتقة ينصهر فيها الجيل الجديد، ليبني لنفسه شخصيته الناشئة المبنيّة على أرض صلبة من الحق والمنطق والتاريخ والواقع التي يلخصها جميعاً شيء اسمه: الإسلام.

وهكذا يتهيأ لهذا الدين فرصة تاريخية فريدة، لم يعرفها منذ الصدر الأول، فرصة يمكن أن نطلق عليها اسم «ثورة الوعي»، إنها وعي أكثر منها صحوة، فما هي بصحوة النائم بقدر ما هي تغير اتجاه، نتج عن ثقافة وتوعية، لم يعرف التاريخ مرحلة في قوة تركيزها واتساعها وموضوعيتها، وهكذا كان مدّ الإسلام مرتبطاً دائماً بالوعي والمعرفة، وانحساره مرتبطاً دائماً بالجهل والجاهلية.

إن الهبوب المفاجيء لعاصفة الطباعة والإعلام والتقنية الحديثة، والانتشار الواسع والسريع للكلمة بأشكالها الثلاثة: المطبوع والمسموع والمرئي، زاد، في متوالية هندسية سريعة، من مسؤولية الكتابة والكاتب، فعود

على الأديب اختيار كلمته ومكانها ووقتها المناسبين.

واحد من كبريت قلمه، يمكن أن ينشر النار في هشيم حياتنا، أو يدير عجلة، أو يطلق صاروخاً في فضاء حركة تقدمنا، أو يفجّر قنبلة تعوّق هذه الحركة، وتعود بنا وبحضارتنا القهقرى سنين عديدة.

وهذا التنوع في أساليب العرض، والإيصال، ضاعف أيضاً من الفرص المتاحة أمام الكاتب، لتحقيق تأثيره المنشود، فلم تعد قائمة الفنون الأدبية تقتصر بين يديه على القصيدة والخطبة والرسالة، فهناك الآن المقالة، والخاطرة، والمسرحية، والقصة القصيرة، والرواية، والتمثيلية الإذاعية، والتمثيلية التلفزيونية، والفيلم السينمائي، والفيلم التلفزيوني، والمسلسل الإذاعي، والمسلسل التلفزيوني، وبرامج الحاسوب (الكومبيوتر) المختلفة وغيرها. لقد اتسعت أمامه فرص الاختيار كما لم يحلم من قبل، ولكن المزالق تزداد أمامه بالنسبة ذاتها، ويتضاعف خطر المسؤولية بتضاعف أعداد قارئيه أو سامعيه أو مشاهديه، وتضاعف التأثير الذي تحدثه وسائل العرض والإيصال الحديثة، وسعة حجمه وعمق نفاذه. إن قصته أو مسرحيته أو مسلسله أو حديثه الإذاعي أو التلفزيوني لن تكون قاصرة الآن على جماعة مصلّين في مسجد واحد، أو مستمعين في قاعة واحدة، مهما اتسعت هذه القاعة، أو أهل بلد واحد، مهما كان عدد سكان هذا البلد، لقد تجاوزت الصورة والصوت كل القاعات والجدران والحدود، وقواعد الرقابة ووسائلها التقليدية، ولم تعد المسؤولية الآن مسؤولية حكومة ووزارة إعلام ومقص رقيب، عادلاً كان أو ظالماً، بل احتكرها كلها الكاتب، وما أسهل أن تكون الآن عليه، وما أصعب أن تكون له، إن عليه بعد هذا التطور الخطير أن يمسك بمقصه بنفسه، بحذر وعدالة متناهيتين، قبل أن يأتي عليه هذا المقص، وأن يحاسب به نفسه، قبل أن يحاسبه الله، ويأخذه قراؤه ومستمعوه يوم القيامة بذنوبه فيهم.

***

ولا يتوقف دور الأديب عند هذه المرحلة من الاختيار الدقيق، والتمحيص المسؤول، ومراقبة النفس، فالحكمة ضالّة المؤمن وسبيله، ولا بدّ له من اختيار الوقت المناسب، والمكان المناسب، والطريقة المناسبة، لإطلاق كلمته ونشر خصوبته وزرع بذوره، تماماً كما يترقب المزارع الفصل المناسب، ويختار التربة المناسبة، والظرف المناسب ليغرس النبتة المناسبة، التي تؤتي بعد حين أكلها بإذن ربها.

ولو أن أديباً أطلق فكرة أو رأياً أو عملاً أدبياً في وقت قد يساء فيه فهم هذا العمل فلرّبما أحدث ردّة فعل لا تتناسب مع الغاية الشريفة التي كانت ترجى من هذا العمل، ولو أن أديباً قصّر في واجبه وتلكأ في إطلاق كلمته بالوقت المناسب، وبالشكل المناسب، وإلى الجمهور المناسب لفقد عمله أثره وسقطت قيمته. لقد كان يمكن لمسرحية «يا محمد أحمل حقيبتك وامش» التي عرضت في الجزائر قبل سنوات وتحدثّ الشعور الإسلامي، أن تمرّ من غير عقوبة أو حساب،

لـولا أن أدرك الأديب المسلـم، في الـوقت المناسب، واجبه تجاه هذه القحة والعدوانية، فتحـرك بسرعـة، وكـانت مسرحيـة «الحقيبـة تبقى هنـا» التي عـرضت في الموسم الثقـافي نفسه، لتبطل أثـر المسرحية الأولى، ولتحدث في نفوس جمهـورها أثـراً عكسياً بنّـاء، ردّ كيد الشيطان في نحره، وقلب سحره عليه.

ويتحلى الأديب المسلم، إلى ذلك، بصبر القطـة وهـو يعالج تـربتـه، وينمّي بـذوره، وينتظر النتـائج، ولو أن صـاحبنا، في قصـة تـرجمة الخطبة، وقف يعـظ صديقـه المترجم، ويأمره لساعات بالمعروف وينهاه عن المنكر، وطلب إليـه أن يقرأ القرآن الكـريم وتفسيره، وكتب الحديث، والفقـه، والفكر الإسـلامي بـالصـورة التقليـديـة التي اعتـادهـا معظم دعاتنـا ووعاظنـا، فلربما لم يستطـع أن يشده إلى مـا يـريد أو يقنعـه بشيء، ولكن حكمـة المؤمن هـدته إلى تلك الطـريقة الذكيـة التي جعلت صـاحبنـا الآخـر يغـوص في كتب التفسير والحديث ويتلقى ما فيها، كما تتلقى الأرض الظمأى الموسم الأول من الأمطار.

***

وهـــذه الأمثـولـــة هي درس صغير للأديب المسلم، يذكّره باختيار الفن الأكثر قبولاً لدى الجمهور، لعـرض فكرته، وتحقيق هدفـه، وبالأسلـوب الأكثر جـاذبية، لبنـاء هيكل مقـالتـه، أو قصيدتـه، أو قصتـه، أو مسرحيتـه، إن نفـوس أبنـاء العصر لم تعـد تقبل المبـاشرة في الخطـاب، والـوعظيـة في التوجه، والتجريـد في عرض الفكرة، ولا بدّ من معايشـة هذه النفوس بصبر، ومـلاينتها بحكمـة، والتعـرف إلى مداخلهـا بـذكـاء، حتى يكـون الأديب على مستـوى الموقف والعصر، وهـذا يعني إعـادة النظـر بشكل جـذري في أساليبنـا الخطـابيـة التقليديـة، ونماذجنا الفنيـة، شعريـة أو نثريـة. وربما في الهيـاكل الأسـاسيـة لفنـوننـا الأدبيـة، فإن وجدنـا القراء قد انصرفـوا عن قراءة المقـالة النقدية، أو الفكرية، أو السياسية، أو الدينية، بحثنا للمقـالة عن هيكل جديد يستعيـد ثقة جمهـورهـا، وقـد يكـون هيكـلاً قصصيـاً أو حواريـاً أو ساخـراً أو غير ذلك، وإن وجـدنا القصيدة قد فقدت بريقهـا وجمهورها، عمدنا إلى تلك الهياكل الجديدة أيضـاً لمنحها شكلاً جديداً، وحيـاة جديدة، تستعيد بها سـامعيها وقراءها، إننا مطالبون بأن نعيد اختراع الأدب واختراع الفنـون الأدبيـة، وإن ثـورة الهيـاكل الأدبيـة، وتطـور الـوسـائل الفنيـة، بحيث تتماشى مع ثـورة الفكـر والحيـاة والتقنيـة

علينا كشف جراح أمتنا وتقديم سبل معالجتها.

المعـاصرة، من غير أن تفقـد جذورهـا الفنيـة الأصيلـة، هي إحـدى الـوظائف الأسـاسيـة للأديب المسلم، وعليه قبل غيره تقع مسؤولية تحقيق هذه الثورة وقطف ثمارها الجنيّة.

وثورة العصر تفرض على الأديب المسلم، قبل كل ذلك، التـوجـه إلى قضـايـا المسلمين الكبرى في كل مكـان، لا بمنطقـه الإقليمي المحلي، بل بـالمنطق الإسـلامي العالمي. لقـد تحدث الكثيرون عـــن فلسطين وكشمير والفيليبين والبوسنـة، ولكن المقال كان غـالباً دون المقـام، والموضوعـات كانت تعـالج من وجهة نظـر قد تكـون مستهجنة أو مستغـربة من قبل أصحـاب القضيـة المعنيين أنفسهم، وهم يسمعـون إلى قضيتهـم تعـرض بشكل قاصر ودون الحقيقـة، وربما بشكل محرّف يثير سخريتهم إن لم يثر غضبهم.

إن الأديب المسلم مطالب الآن بأن يعيش القضية قبل أن يكتب عنهـا، ويسافـر إليها لا أن يكتفي بـالقـراءة أو السماع عنها، فـوجـوده على أرض القضية، ومعـايشته لها ميدانيـاً، جزء أساسي في عملية الإبداع، تتطلبه طبيعة العصر، وتطور شبكـة المواصلات، وتقـاصر المسافـات بين الأقطار المختلفة.

إن على الأديب المسلم أن يكتشف بنفسـه آلام الأمـة، لا أن ينتظـر حتى يتحـدث عنهـا الآخـرون، وعلى رأسهم الإعـلام الغـربي طبعـاً، فإذا أغرقنا هذا الإعـلام في قضية البوسنة لحاجة في نفس يعقوب فإننا مطالبون باكتشاف أوجاع العـالم الإسلامي بأنفسنـا، لا أن نتركها لأطبـاء الآخرين فيكشفـوا لنا مـا أرادوا كشفه، ويستروا ما لا مصلحة لهم في كشفه، إن مآسي المسلمين كبيرة ومنتشرة وعـديـدة، ولقد غفلنـا منهـا عن الكثير، وتحدثنـا عن القليل، كم من بـوسنـة يـا ترى في الأرض السـابقة لـلاتحاد السوفيـاتي ولا نعـرف عنهـا، كم من كشمير في العـالم تحاول التحرر من ربقة الكفر لتستقل بدينها وإيمانها، ولكنهـا أضعف من أن تسمعنـا صـوتها، ونحن لا نحـاول أن نـوصل آذاننـا إليهـا؟ كم من أندلس تتساقط الآن في ديار مسلمة مجهولة لنا، ويتساقـط معها المسلمون متحـولين عن دينهم وعن أسمائهم الإسـلامية إلى جـورجيو وأنتـوني وألفـونسـو كما يحدث في الأرجنتين وغـايـانـا وبرازيل وفنـزويلا حتى لم يعودوا يـذكرون أنهم مسلمون؟

إن الهمـــوم أكبر من أن يحيـط بها مقـــال صغير كهذا، وقضـايا المسلمين أخطـر من أن يخوض اللسان فيها بحريـة وجسارة، وضوابط العمل الأولى أوسـع من أن يضبطهـــا عمل متواضع واحـد، ولكن الميدان مفتوح لـلأدباء المسلمين كما لم يفتـح مـــن قبـل، والمستقبـل الـواعـد لـلإسـلام يترقبهم بلهفـة ليقـولـوا كلمتهم، ويثبتـــوا فـــاعليتهم وجـــدارتهم بالمسؤولية القيادية التي تنتظرهم على الأبواب بإذن الله.

دراسة أدبية

من تراث باكثير المجهول:

رواية «الفارس الجميل»

بقلم / الدكتور حلمي محمد القاعود*

-١-

ترك علي أحمد باكثير (١٩١٠ - ١٩٦٩م) تراثاً أدبياً ضخماً من الشعر والنثر، نُشر معظمه، وبقي منه جزءٌ ليس قليلاً، يضمّ مسرحيات وقصائد وقصصاً وروايات. وهذا الجزء مجهول لكثيرين، وبخاصة الأجيال الجديدة، التي لم تعد تعاصر باكثير، أو وُلدت بعد رحيله، ويرجع ذلك إلى أن هذا الجزء مجهول، نُشر متفرّقاً في الصحف والمجلات إبّان حياة باكثير، أو ظل مجهولاً بين أوراقه التي خلّفها، أو قُدِّم للنشر في مؤسسات رسمية ولم يُكتب له رؤية النور لأمر ما..

علي أحمد باكثير

ومن هذه الأعمال: قاب قوسين، المحاكمة، مأساة زينب، سفر الخروج الأخير، شلبية، حزام العفّة، حرب البسوس، ثماني عشرة جلدة، وغيرها.

ولا يختلف الجزء المجهول كثيراً عن طبيعة الأعمال التي عرفها الناس لباكثير، فهو يحمل خصائص فنه، وملامح رؤيته، ويواكب أحداثاً ومواقف مرّت بها الأمة مجتمعة، أو شهدتها متفرقة، مما يعني أن باكثير كان على عهده دائماً، وفيّاً لواقع أمته، ومتأثراً به، ومتفاعلاً معه، ويحاول بقدر طاقته أن يشارك بقلمه في التعبير عن هموم عصره، وطموحات قومه.. وقد نجح دائماً في تحقيق غايته، على الأقل من الوجهة الفنية، فضلاً عن استشرافه للمخاطر والمشكلات، التي كانت وما زالت - تتربص بالعقيدة والأمة جميعاً، مما جعله يسبق الكثيرين من أبناء جيله في توقّع ما تعانيه الأمة الآن.. لذا كان حريصاً على أن يحث الناس على مواجهة اليأس والإحباط، واقتحام العقبات والمصاعب، وتجاوز المحن والهزائم، مذكراً إياهم بمواقف

باكثير لا ينحاز إلى فريق ضد فريق .. لكنه يطرح الأحداث في إطارها الفني

تاريخية مشابهة، وبأمجاد قديمة سابقة، كي لا يقعوا فريسة الضياع والاستسلام.

ولعل روايات باكثير التاريخية، وبخاصة «وإسلاماه» التي سجل فيها انتصار المسلمين على التتار في «عين جالوت» و«الثائر الأحمر» التي عبر فيها عن هزيمة المشروع القرمطي المعادي للشريعة[١]، كانت من أبرز إنتاجه الأدبي، الذي يدخل، في دائرة التبشير والتحذير.. التبشير بالانتصار الإسلامي مهما تبلغ ضراوة الهزيمة التي تصيب المسلمين، والتحذير من المشروعات المشتبه بها، التي ترفع رايات مضلّلة، تكون نتيجتها دائماً الخراب والضياع والبؤس والهزيمة.. وما كان تبشير باكثير وتحذيره إلاّ نتيجة قراءته الواعية للتاريخ والواقع، ومقارنته المستمرة بينهما، واستيعابه للدروس الإنسانية الكبرى، التي تحققت نتائجها الطبيعية وفق مقدمات صادقة.

وفي هذا السياق تدخل روايته القصيرة «الفارس الجميل»، التي نشرت عام ١٩٦٥، في مجلة «القصة» المصرية، على مدى ثلاثة أعداد[٢]، حيث نعيش مع باكثير فصلاً من فصول التاريخ، نقرؤه معه، ونتأمل المقدمات والنتائج، ونطالع في الوقت ذاته صورة من صور النفس الإنسانية، وقد تنازعتها مثل البطولة والفروسية والشهامة والوفاء والإخلاص الرفيعة، ونوازع الضعف الإنساني والأخطاء البشرية، وفضلاً عن ذلك نشاهد مرحلة من المراحل التي مرت بها أمتنا، وحفلت بالكثير من المتاعب والمصاعب والصراعات الدامية!.

(*) أديب وناقد مصري، صدرت له عشرات من الدراسات والأبحاث، يعمل الآن أستاذاً مشاركاً بكلية المعلمين المتوسطة بالرياض، معاراً من جامعة طنطا.

-٢-

يصدّر علي أحمد باكثير روايته القصيرة «الفارس الجميل» بالآية الكريمة:

﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل امرىء بما كسب رهين﴾(٣).

وتشير الآية الكريمة إلى الاتباع الناضج من الخلف للسلف، على أساس الإيمان الصالح، وثواب المتبعين الكامل غير المنقوص، وفي الوقت ذاته، فإن الأعمال منوطة بأصحابها وحدهم، لا يحمل الآباء عن الأبناء شيئاً ولا العكس، ومن ثمّ، فإن الآية الكريمة تخبرنا بأن ما يفعله الأبناء ليس مسؤولية الآباء، الذين رحلوا ولكنه مسؤولية الأبناء وحدهم.. ولعل الكاتب أراد أن ندخل الرواية ونحن مسلحون بهذا الوعي، كي لا يحدث التباس عند قراءتها، وأيضاً ليوحي بموضوع الرواية، الذي يمثل بصورة ما تغاير الخلف عن السلف.

لقد تمثّل هذا التغاير في الصراع بين الأبناء من أجل الآباء امتداداً لصراع هؤلاء قبيل رحيلهم، وكل فريق يعتقد أنه على حق، وأنه على صواب، وكانت ثمرة الصراع في كلّ الأحوال مريرة وممضة، حتى لو بدت أحياناً متوهجة بالبهجة والسرور.

كان الصراع بين ورثة معاوية بن أبي سفيان ممثلين في عبدالملك بن مروان، وبين من جاءوا بعد علي بن أبي طالب ممثّلين في عبدالله بن الزبير. وقد تجسّد هذا الصراع في شخصية بطل الرواية «مصعب بن الزبير» أو الفارس الجميل، الذي سميت الرواية باسمه.

ويبدو الموضوع الروائي لأول وهلة ترجمة لشخصية مصعب بن الزبير، ووصفاً لجمال خِلْقته، وتنافس النساء عليه، وافتتانهن به، وبخاصة أنه حظي بالزواج من أجمل امرأتين في زمانه، وهما: «عائشة بنت طلحة بن عبيدالله»، وسكينة بنت الحسين بن عليّ، ولكن الرواية في سياقها تحكي قصة الخصومة بين أبناء الصحابة، الذين جمعتهم الطفولة والشباب على المودّة والمرحمة والتعاطف، وفرقتهم السياسة والملك، بالتنافس والقتال والحروب.. وصار الصديق يشهر سيفه في وجه صديقه، والقريب يشن الحرب ضد قريبه، مع ما استتبع ذلك من قتلى وجرحى وأحزان لا حدّ لها!.

الكاتب لا ينحاز إلى فريق دون فريق، ولكنه يكتفي بطرح الأحداث التاريخية في إطارها الفني، وكأنه يقول لقومه المعاصرين: انظروا، ها هي ذي نتيجة خلافات الأشقاء: دم غزير، وأسىً مقيم! وإذا عرفنا أن باكثير نشر هذه الرواية القصيرة في فترة حفلت بالمشاحنات الكلامية، والمعارك الدامية بين بعض الأقطار العربية، أدركنا جيداً غاية باكثير من تقديم هذا النص...

إن الكاتب لا يجهر بما يقول، ولكنه يعرضه بلغة الفنّ، ومن خلال مواقف مؤثرة وعميقة. لقد كان عبدالملك بن مروان يزحف من بلاد الشام ليخضع العراق الذي يحكمه مصعب بن الزبير، من قبل أخيه عبدالله بن الزبير، ولأن الرجلين (عبدالملك ومصعب) كانا يرتبطان منذ طفولتهما بعلاقة حميمة، وصداقة عميقة، فقد كره مصعب أن يقاتل صاحبه، والتمس لذلك العلل والأسباب حتى لا يتواجها في ميدان المعركة، لأن المنتصر فيها لا يقل خسارة عن المهزوم. ويحاول مصعب أن يتجنب الوصول إلى ساحة الحرب، لدرجة أنه يتخفّى ويذهب تحت جنح الظلام إلى معسكر صاحبه ليقنعه بالعدول عن الحرب، والتماس مخرج منها، ولكن الإصرار على المواقف يجعلهما يخفقان في الوصول إلى حلّ:

«قال مصعب:

- أليس من نكد الدنيا يا عبدالملك أن تضطر لمحاربتي وأضطر لمحاربتك؟

- بلى والله، ولكن الملك عقيم.

- أفلا نبرم بيننا عهداً إلاّ يقاتل أحدنا الآخر ما حيينا أبدا؟

- قد علمت يا مصعب أني لست أقاتلك على شيء، وإنما أقاتل عبدالله أخاك.

- بل تقاتلني إذ تقاتل أخي.

- اخلع أخاك وأعلن عن نفسك مكانه فستجدني أكف عنك، وأقاتله معك.

اكتفى الكاتب برصد معالم الفتنة ولم يتورط في الحديث عن أسبابها

- معاذ الله أن أفعل ما ليس لي بحق.

- أنت أحق والله بهذا الأمر منه.

- ومنك؟

- لا بل تفضلني في أشياء وأفضلك في أشياء.. ولكننا سنبرم بيننا حينئذ العهد الذي اقترحت.

- هيهات، إنك لتعلم أن عبدالله بن الزبير أفضل مني ومنك...»(٤).

يمضي الحوار على هذا النمط بين الرجلين الصديقين، كل منهما لا يتنازل أمام الآخر، ويصرّ على موقفه، حتى انتهت الأمور كما تروي كتب التاريخ إلى التمكين لعبدالملك وهزيمة الزبيريين، وتعليق عبدالله بن الزبير مصلوباً في مكة، بعد اقتحامها من قبل جيش عبدالملك، الذي كان يقوده الحجاج بن يوسف الثقفي.

دراسة أدبية

الموضوع الروائي إذاً يتجاوز الترجمة لشخصية مصعب بن الزبير، الذي اهتمت بها الرواية بالفعل، وطرحته من جوانب عديدة، إلى غاية رئيسة، هي تصوير الفتنة بين أبناء الصحابة، وتأثيرها على مصائر العباد، والخسائر التي أحدثتها على مستويات مختلفة.

لقد اكتفى الكاتب برصد معالم الفتنة، ولم يتورط في الحديث عن أسبابها وجذورها.. ولكن هذا لم يمنعه أن يشير أحياناً إشارات دالّة إلى تغيّر النفوس وسيطرة سلطان الدنيا عليها، وتأثير ذلك

المؤلف التزم الأسلوب الرصين الذي يتناسب مع التراث

على مسار الأحداث ومواقف الناس.

بيد أن الموضوع يبقى في كل الأحوال تحذيراً ضمنيّاً للأجيال الحاضرة واللاحقة من التناحر والخلافات وتبشيعاً لأهوالها ونتائجها.

-٣-

تدور أحداث الرواية في أماكن عديدة، أهمها، البصرة والكوفة ومكة المكرمة، والصحراء حيث يعسكر جيش عبدالملك ابن مروان. وتبدو علاقة المكان في الرواية وثيقة بالشخوص والأحداث، فالبصرة تأخذ بعداً وجدانياً عميقاً في نفس مصعب ابن الزبير، لأنها مقرّ زوجتيه سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، أجمل نساء العرب، وأقربهن إلى قلبه، وتغدو أحب مدن الأرض إليه بعد أن تأخذ صفة من يحّب من البشر. أما الكوفة فهي ميدان القتال الذي واجه فيه أعداءه وحاصرهم، والحجر الأسود، فقد كانت مركز الأحلام والأماني بالنسبة لمصعب وأخويه عروة وعبدالله، وأصدقائهم من أمثال عبدالله ابن عمر وعبدالملك بن مروان.. وقد تحققت أماني الجميع وأحلامهم، بيد أن مكة تبقى أيضاً مكاناً للنهايات الفاجعة حيث قتل عبدالله بن الزبير، وقبل ذلك رمزاً للمحاسبة والمعاتبة والمعاناة بالنسبة لمصعب، ففيها يجد جفاءً من أخيه عبدالله، وصدًّا له ولأصحابه القادمين من العراق، وضنّاً عليهم بالعطاء، مما جعل مصعباً في موقف صعب أمامهم، وترك أثراً في نفوسهم، كان له دوره في تحويل مسار الأحداث والقتال، ثم إن مصعباً وجد في مكة لوماً دائماً وتأنيباً قاسيين من عبدالله بن عمر، الذي لامه وأنّبه على مقتل ثلاثة الاف رجل من أتباع المختار الثقفي، قتلهم أصحاب مصعب مع أنهم عرضوا التوبة. لقد كانت مكة بالنسبة لمصعب مثاراً للشجن والألم والإحباط، وكانت مقولة عبدالله بن عمر لمصعب:

«يا ابن أخي أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك»[٥].

ذات أثر في نفسه لم تمحه الأيام. وظل يذكرها بقية حياته، وكان كلما فكر في معناها اقشعرّ بدنه، وتقطع قلبه ندماً وخشية.

دون توقيت:

ولم يتوقف باكثير عند هذه الأماكن بالوصف والتشخيص إلاّ لماماً، ولم يقدم ما يشير إلى طبيعة المجتمع فيها تقديماً وافياً، وإن كانت إشاراته أو وقفاته توحي بدلالات لها أهميتها بصورة ما، فالبصرة مثلاً مدينة وادعة، ذات زرع ونخيل، وشط تتمايل فيه السفن والقوارب غادية ورائحة، وتتيح لمصعب أن يتمتع فيها بمباهج الحياة[٦]. مما يجعلها تبدو رمزاً للمجتمع المترف الهادىء، الذي يغص بالشعر والغناء، والغنى والحياة الرخيّة، كما توحي الإشارات المتفرقة في ثنايا الرواية.

ويبدو الزمن الروائي في النص غير محدّد بسنة معينة أو توقيت معيّن، ولكن الكاتب اكتفى بالأحداث التي تشير إلى فترة زمنية تصارع فيها الأمويون (آل مروان تحديداً) مع الزبيريين (آل الزبير)، حيث تبدأ الوقائع الروائية منذ حصار المختار الثقفي في الكوفة، إلى لقاء مصعب بن الزبير بعبدالملك بن مروان في معسكره بالصحراء، فيما بين الشام والعراق.. أي إن الرواية القصيرة تأخذ حيزاً زمنيّاً محدوداً من صراع المروانيين والزبيريين، ولعل الكاتب أراد من ناحية ما أن يركز على دور عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، فقد أعطى لهما حضوراً روائياً بارزاً، وهو ما جعله يكتفي بالحيز الزمني المحدود الذي يتناول علاقة الزوجتين برجلهما، وتطفو على سطحه ملامح الصراع السياسي.

وعلى كل فإن الزمن الروائي في «الفارس الجميل» يسير مستقيماً متصاعداً، ولكنه يتعرج أحياناً أو يتراجع بالمونولوج الداخلي أو الاسترجاع والتذكر فيما نراه عبر السرد متعلقاً بشخصية مصعب، حيث يضيء جوانب منها، أو يكشف معالم بعض الأحداث أو يفسرها.

-٤-

يبني باكثير روايته القصيرة من خلال الحيرة التي تسيطر على مصعب بن الزبير إزاء زوجتيه الجميلتين، وهما من أشهر نساء العرب. وتبدو الحيرة في كيفية تفضيل إحداهما على الأخرى، وكيفية إرضائهما وهما لا ترضيان، لأنها متنافستان، وفي الوقت

ذاتـه فإن مصعبـاً يعـدّ من أجمل رجـال العرب، وتتهـافت عليـه النساء، لـدرجة أن جميل بثينـة حين رآه وهـو يـؤدي منـاسك الحج، عرفه وودّ من الله أن يرزقه وجهاً مثل وجهه، وحين سأله مصعب: لماذا؟ قال له: أفتن بـه قلب بثينة وأشغفه حباً. وضحك مصعب حتى بدت نواجذه، ثم قال: إنك تحسـدني على وجهي وأنـا أحسـدك على شعرك!! بل إن جميـلاً خشي على بثينة أن ترى مصعباً حين عرض عليـه أن يتشفع له عنـدها. وقـال له: ضلّ من جعلك شفيعـه إلى امرأته.

إن تنـافس عـائشـة وسكينـة على حب مصعب. وهجـرهما لـه في الـوقـت ذاتـه، وتدلّلهما عليه، يشكل مدخلاً جيداً للرواية، يهيىء بعـدئذ لتتـابـع الأحـداث التي تشـدّ القارىء للمتـابعة، بما تحمله من مفـاجآت مسبّبـة وأحـداث طبيعيـة. إن حصـار الـزوجتين الجميليتين لـزوجهما مصعب، يقـابلـه حصـار مصعب للمختـار الثقفي وأصحابـه، وهو حصار ينتهي بخديعة من المختار، كما انتهـي حصار الـزوجتين بحيلة من حيل مصعـب، ثم تقفـز الأحـداث في اتجاه التصعيـد بمقتل المختار، وتـزداد ضراوة التصعيـد بقتل ثـلاثـة آلاف رجل من أتبـاع المختار، أعلنـوا التوبـة وأرادوا النجاة، ولكن أصحـاب مصعب مـا تـركـوا لهم فـرصـة وأعملـوا فيهم السيف، وكـان هـذا الحدث نقطـة تحول مـؤثـرة في نفس مصعب، ظلت تطارده وتفسد عليه لحظـات هدوئه وصفوه، وبخـاصة بعـد أن لامـه عبـدالله بن عمـر، وقـرّعـه على هـذه الجريمـة التي ارتكبهـا أصحـابـه. صحيح أنـه لم يكن مـوافقـاً على المقتلة، ولكنه كان يستطيع أن يمنعها، وكان حـواره مع عبدالله بن عمر، كـاشفاً لأبعـاد هذه المأساة وبخاصة حين قال له عبدالله:

– «ويحك، أخبرني يـا مصعب لـو أن رجلاً أتـى ماشيـة الزبير فذبـح منها ثـلاثة آلاف رأس في غـداة واحـدة، ألست تعـدّه مسرفاً؟

– بلى.

– أفتراه إسرافـاً في البهـائم ولا تـراه إسرافاً فيمن ترجو توبتهم؟»[٧].

وليت الأمـر وقف عنـد هـذا الحد، بل تعدّاه في تصـاعد دموي بشع، عندمـا أقدم أصحاب مصعب على قتـل إحدى زوجتي المختـار (عمـرة بنت النعمان بن بشير)، مع أنه كـان رافضاً لقتلهـا، وكان لهذه الحادثـة أثرها في نفس مصعب، وقد سـارت بذكرها الركبان، وبخـاصة بعد أن أنشد فيهـا عمر ابن أبي ربيعة أبياته:

إن مـن أكبر الكبـــائر عنـــدي
قتل حسنـــاء حـــرّة عطبـــولِ

هذا العمل يؤكد انتماء باكثير إلى قضايا أمته وتعبيره عنها

قُتِلتْ بـــاطـــلاً على غير ذنـبٍ
إن للـــه درّهـــا مـن قتيلِ
كتب القتل والقتـــال علينـــا
وعلى الغـانيـات جـرُّ الـذيـول..

ثم إن صـدام الـرأى والفكـر بين مصعب وأخيه عبـدالله بالحجـاز، وموقف الأخير من أصحـابه القادمين مـن العراق، وعـزل مصعب وتـوليـة حمزة ابن أخيـه عبدالله ابن الزبير مكانه، أضافت إلى البناء الـروائي حـالة مـن الفوران الـدائم الـذي جعل الأحـداث تتجـه إلى نقطـة الـذروة الساخنـة.. ولم تخمد هذه الحالـة بعزل حمزة وإعـادة مصعب إلى الولايـة، لأن عبدالله ابن الـزبير كـان يطلب من أخيـه التجهيـز لقتـال عبـدالملك بـن مـروان والاستعـداد لملاقاته، وهو الأمر الذي أثار صراعاً نفسياً متـلاطماً في وجـدان مصعـب، حيث كـان يكـره أن يـواجـه صديقه الحميم الذي عـاش معـه أيـام الصبـا والشبـاب، كأجمل ما يكـون العيش في تلك الفترة الـزاهيـة.. لذا فـــإن الأحـداث لا تجنح إلى الهدوء أو الإبطـاء، ولكنهـــا تظل في تصـاعـد كي تقـدم لنـا لقـاءً مثيراً بين الصديقين اللدودين (عبدالملك ومصعب)، كل منهما لا يـريـد قتـال الآخـر، ولكنـه لا يستطيع أن يمنع القتال! إنه صراع العاطفة والواجب يتمثل في اللقـاء المثير الذي سعى إليـه مصعب من أجل حقن الـدماء وعـدم المواجهـة، ولكن الكـاتب يتركنا عنـد هـذا اللقـاء المثير الـذي لم يتمخض عن اتفـاق، وإن كـان قـد حمل الكثير من المشـاعـر والأحـــاسيس والصراع النفسي، الـــذي يضطرم بين جوانح الرجلين الفارسين.

لقد تـرك الكاتب نهايـة روايته القصيرة مفتوحة، ولم يستطـرد إلى بقية الأحداث التي حملتهـا كتب التـاريخ، وكأنه أراد أن يـوفّـر علينـا رؤية مشـاهـد الحزن والدم، واقتتـال الأبنـاء الأصـدقاء، الـذين صيّرتهم الـدنيـا «أخوة أعداء»!

ومـا بين البـدايـة التي تبـدو إنـذاراً بـالعـواصف والشجن (تـدلـل الـزوجتين وحيرة مصعـب بينهما، وسعـي كـل منهما للتفوق على الأخـرى وهزيمتهـا)، والنهايـة التي تشير إلى أنهار الـدم والأسى، تختـزل الروايـة القصيرة مشهداً تـاريخياً لـه دلالاته وآثـاره، التي يشهـد الـواقع العـربي بل الإسلامي، نظيراً معـاصراً لها، وإن اختلفت المواقع والشخوص والأحداث والأساليب.

-٥-

الشخصيـــة الأســاس في «الفـــارس الجميل» – كما رأينـــا – هي شخصيـــة مصعب بـن الـــزبير وهـــو أخ غير شقيق لعبـدالله بن الـزبير بن العـوام. وقـد ولاّه عبدالله، حين طالب بالخلافـة بعد مصرع الحسين بن علي رضي اللـــه عنهما إمـــارة الكـوفـة، وعهـد إليـه بإخضـاع الثـائرين

والخارجين على سلطانه، وقد أبلى مصعب بلاء حسناً، فقد كان فارساً لا يشق له غبار، وتعّد شخصية مصعب من الشخصيات الفنية المتكاملة، التي رسمها الكاتب بعناية، واهتم بتنميتها من الداخل، وتقديمها شخصية حية، تعيش لحظات القوة والضعف، ونشوة النصر وتعاسة الهزيمة.. إنه يقدم مصعباً الفارس المنتصر في معاركه الحربية، ويقدمه - أيضاً - المنهزم أما نسائه أو زوجاته، ويقدمه مقاتلاً بارعاً يضغط على خصومه حتى يرغمهم على الاستسلام وفي الوقت ذاته يصوّره سياسياً متردداً، يضعف أمام أنصاره، مما يوقعه في أخطاء قاتلة، ويقدمه إنساناً شهماً مؤمناً بالأخلاق العليا والقيم الرفيعة، ومع ذلك يبدو بسبب هذه القيم وتلك الأخلاق، قائداً غير محنك، يفتقد البعد الاستراتيجي بلغة عصرنا.. ثم إن الكاتب في كل الأحوال، كان يكشف لنا مصعباً من الداخل، ويطلعنا على ما يفكر فيه، وعلى ما يؤرقه من مشكلات ومعضلات.. فرأينا «صورة حية نامية، وإن لم نعش معها إلاّ فترة قصيرة نسبيّاً، هي الفترة الممتدة من هزيمة المختار الثقفي إلى ما قبيل الاشتباك بين جيش عبدالملك وجيش مصعب.

وإذا كان الكاتب لم يكتف بتقديم الفارس الجميل مصعب بن الزبير من الخارج، ثم تعمق شخصيته إلى حد كبير، فإنه فعل العكس تقريباً مع بقية الشخصيات التي ضمتها الرواية، ويمكننا أن نستثني بعض الشخصيات التي حظيت ببعض اهتمامه الفني، مثل زوجتيه عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، الأولى مشغولة بجمالها ودلالها، وتأثيرها على زوجها الجميل، والثانية مليحة العرب، أو أملح نساء العرب، يشغلها ثأر أبيها من قاتليه، ومنافسة ضرّتها عائشة بنت طلحة، فضلاً عن اهتمامها بالأدب شعراً ونثراً، وقد كان الكاتب وفياً لما أوردته كتب التاريخ والأدب عن هاتين المرأتين، وصفاً وسلوكاً ولغة، وبالطبع فإنه لم ينقل ما كتب حولهما جميعه، بل اختار بعضه مما يتفق مع بنائه الروائي دون أن يتدخل فيه، بل حافظ على صورته التاريخية التراثية كما وردت[٨].

بيد أنه تبقى هنالك شخصيات أخرى كثيرة، جاءت جاهزة، وإن كان بعضها يعطينا شيئاً من ملامحه الخلقية والسلوكية من خلال الحوار، مثل شخصية عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما، والأحنف بن قيس، وعبدالملك بن مروان، وجميل بن معمر (جميل بثينة).

-٦-

يملك «علي أحمد باكثير» أسلوباً أدبياً رصيناً، يتناسب مع التراث والتاريخ، ويمكن القول إنه التزم بالرصانة المستقاة من لغة التراث ذاتها، حين وصف الأشخاص والأماكن، وحين أجرى حواراً، بل حين جعل بعض شخوصه يتذكرون ماضيهم، فيما يعرف بالاسترجاع (الفلاش باك)، أو يحاورون أنفسهم فيما يعرف (بالمونولوج الداخلي)، أو يمزجون بين الاسترجاع والحوار الداخلي.

وعلى كل حال، فهذه الرصانة تملك قدرة على الانسياب التعبيري بعيداً عن التكلّف والتنطع، مما يضفي ظلالاً جمالية ملموسة على التركيب والسياق في آن واحد.

إنّه مثلاً يصف «جمّة سكينة» التي اشتهرت بها، فلا يكتفي بوصفها من الخارج، وإنما يكشف تأثيرها على مصعب وعليها.

«صدقيني يا سكين .. لهذه الجمة وحدها عندي بألف عائشة! وتهلّل وجه سكينة عند ذكر الجمة التي اشتهرت بها، فأخذت بسمة صغيرة تنداح حول شفتيها، مما شجع مصعباً على الاسترسال في الحديث، فطفق يقص عليها كيف أرادت عائشة ذات يوم أن تقلدها في جمتها فلم تفلح، فأخذت تسبّها وتقول: وددت لو تقص جمة سكينة، وأعتق جميع إمائي»[٩].

وعندما يصف الأماكن، أو بعض معالم الحياة الاجتماعية، فإن باكثير يعطي دلالات تتجاوز مجرد وصف ما هو كائن لتعبّر عن طبيعة العلاقات الإنسانية والحضارية، التي تسود المكان والزمان أيضاً، ولنتأمل مثلاً وصفه لحالة الترف التي يعيشها مصعب في بيت زوجه عائشة بنت طلحة، حيث يصف مجلسي النساء والرجال؟

«ودعت هي طائفة مختارة من نسوة قريش، فلما حضرن خلعت على كل واحدة منهن خلعة تامة من الوشي والخزّ، وأجلستهن في مجلس قد نسقت فيه الرياحين والأزهار، وصفت على موائده أطباق الفواكه، وعبقت فيه مجامر العود والندّ.

وكذلك فعلت في مجلس الرجال الذي يحاذيه، والذي تفصل بينه وبين مجلس النساء الستور والحجب. وقد دعا مصعب جماعة من أصدقائه وأصفيائه فجلسوا معه في أنس وصفاء. وتذاكروا معه مختلف شؤون الدولة وشؤون الناس، والساقي يدور عليهم بأكواب الأشربة من وردٍ ورمّان وتفاح، ثم مد الخوان بالشواء وألوان الأطعمة فأكلوا هنيئاً مريئاً..»[١٠].

وهكذا يبدو الوصف إطاراً تتحقق من خلاله صياغة جمالية رصينة، تحقق انسياباً تعبيرياً سلساً، ومع أن الرواية جاءت من خلال ضمير الغائب، معتمدة على السرد الذي يجعل للمؤلف حضوراً ملحوظاً في العادة إلاّ أن القارىء لم يشعر بهذا الحضور، وذلك لأنه تغلّب على الرتابة السردية بأكثر من وسيلة، منها الوصف الحي - كما تقدم - ومنها المونولوج الداخلي أو الحوار الداخلي الممتزج بالاسترجاع أو التذكّر، حيث يبدو عنصراً فعّالاً على امتداد الرواية،

يقدم لنا شخصية مصعب من الداخل، ويضفي عليها حيويّة ملحوظة، وفي الوقت نفسه يكشف لنا عن أحداث مضت، وآمال تتخلّق في ذهن الشخصية، ويُنتظر تحقيقها في المستقبل، لنقرأ مثلاً هذه الفقرة التي تحكي خيبة أمل مصعب بعد عودته من زيارة أخيه عبدالله من مكة، حيث تغيّرت أحواله النفسية، مزاجاً وسلوكاً ونظرة إلى الحياة:

«وأخذت الهموم تساور قلبه، فتكدر عليه يومه، وتؤرق ليله أحياناً، وتضطرّه للتفكير في المستقبل، فيجده كالحاً لا يبشر وجهه بخير، ولا يفتر ثغره عن أمل، أين تلك الثقة التي كانت تفيض بها نفسه؟ وأين تلك الآمال التي كان يجيش بها صدره؟ لقد قضى على كل ذلك به أخوه عبدالله حين قدم عليه في عاصمة ملكه.

لقد كان يعلم أن أخاه مقبوض اليد، ولكنه لم يخطر بباله قط وهو قادم عليه بعد ذلك النصر الكبير الذي أحرزه على عدوه اللدود المختار بن أبي عبيد، أن تبلغ بأخيه كزازة اليد بحيث يمنع عطاءه عن تلك النخبة المختارة من وفد العراق، الذين قدم بهم عليه، مزهواً بهم، مؤملاً أن يلقوا من أخيه أمير المؤمنين ما يكافىء بعض ما قدموا من نصرة له، وبعض ما أظهروا من إخلاص في سبيله، حتى يبيض وجهه هو أمامهم، فيستطيع في المستقبل أن يثق باستمرار ولائهم له، وعدم انصراف قلوبهم عنه إلى أعدائه...»(١١).

ويظل السرد على هذا النمط كاشفاً ما يفكر فيه مصعب، وما جرى له من أحداث، حتى ينتقل إلى مواقف قصصية جديدة، مهّد لها السرد تمهيداً منطقياً وتلقائياً.

بيد أن الحوار يؤدي هو الآخر دوراً مهماً وعميقاً - إن لم يكن أهم وأعمق - في إضفاء الحيويّة على السياق السردي والبناء الروائي بصفة عامة. والكاتب يُجري الحوار بين معظم الشخصيات في كثير من المواقف القصصية، ملتزماً في الغالب بالنص الموروث، الذي روته كتب التاريخ والأدب. ومهمة الحوار كشفيّة وتفسيريّة، وأيضاً فإنها تسعى إلى تطوير الأحداث وتنامي البناء. وفي الحوار التالي بين مصعب والمختار الثقفي ما يكشف عن طبيعة الرجلين، ويفسّر نظرتها إلى ما يجري، ويمهّد لنهاية المختار.

«...قال المختار:

- إن أصحابك لا يعرفون مروءتك يا مصعب ولا يقدرونك حق قدرك.

قال مصعب:

- بلى، ولكنهم حرصاء عليّ فلا لوم عليهم، فقل لي ماذا تريد؟

- جئت أعرض عليك أحد أمرين، الأول أن تتركني وأصحابي فنمضي جهة الشام، لنقاتل أعداءكم آل مروان.

- كلا يا ابن أبي عبيد، ما يكون لي أن أحاصرك أربعة أشهر، حتى إذا نفدت المؤونة من عندك أطلق سراحك لتمضي حيث تشاء.

- أعاهدك لأقاتلن آل مروان فأشغلهم عنك.

- ليس بيني وبين آل مروان شيء حتى اليوم، ولئن قاتلتهم فلن أستعين عليهم بعدوّي

- إذن فإني أعرض عليك الأمر الثاني..

- ما هو؟

- أن تبارزني بالسيف فإما قتلتني وإما قتلتك. فقهقه مصعب ضاحكاً ...الخ»(١٢).

وهكذا نجد الحوار يؤدي وظيفة مهمة في الكشف والتفسير والتمهيد، سواء فيما يتعلق بمصعب أو بالمختار أو بالحدث الروائي بصفة عامة.

وبالإضافة إلى دور الحوار المهم في البناء الروائي بصفة عامة، والسرد بصفة خاصة، فإن باكثير يستفيد بالشعر، بوصفه، وسيلة من الوسائل الفنية، تعليقاً على الأحداث، أو تأكيداً لأهميتها، وسبق أن رأينا نموذجاً لعمر بن أبي ربيعة بعد مقتل زوجة المختار (عمرة بنت النعمان بن بشير).

إن باكثير يوظف مختلف العناصر الروائية، ليقدم سياقاً سردياً، يحقق المتعة الجمالية من ناحية، ويحقق البناء الروائي المحكم من ناحية أخرى.

وبعد..

فإن علي أحمد باكثير في روايته القصيرة (الفارس الجميل) يؤكد على أصالته الفكرية والأدبية، وحرصه على الانتماء لتصوّر أمته وقيمها، واجتهاده المستمر في معالجة الواقع واستشراف المستقبل، مستفيداً بدروس الماضي وحكمة التاريخ.

الهوامش

(١) انظر كتاب «الرواية التاريخية في أدبنا الحديث - دراسة تطبيقية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، فقد أفردت فيه فصلاً طويلاً لدراسة الرواية التاريخية عند باكثير، وركزت على رواية «الثائر الأحمر» مثالاً لها.

(٢) مجلة القصة المصرية، كانت تصدر شهرية في أواسط الستينات. وقد نشرت رواية باكثير في الأعداد ١٤، ١٥، ١٦ (السنة الثانية، فبراير - مارس - إبريل ١٩٦٥).

(٣) سورة الطور: ٢١.

(٤) الفارس الجميل، مجلة القصة، عدد ١٦، إبريل ١٩٦٥، ص١٧.

(٥) مجلة القصة، عدد ١٥، مارس ١٩٦٥، ص١٦.

(٦) السابق، عدد ١٥، مارس ١٩٦٥. ص٢١.

(٧) السابق، ص١٦.

(٨) راجع مثلاً ما كتبه علي الجندي، في بحثه القيّم «ملكتا الجمال العربي في صدر الإسلام»، صحيفة دار العلوم، القاهرة، العدد الثالث (فبراير ١٩٣٧م ذو القعدة ١٣٥٥هـ - والعدد الثاني (شعبان ١٣٥٦هـ - أكتوبر ١٩٣٧م).

(٩) مجلة القصة، عدد ١٤، فبراير ١٩٦٥، ص١٠.

(١٠) السابق، ص١٦.

(١١) السابق، عدد ١٥، ص١٩

(١٢) السابق، عدد ١٤، ص١٣

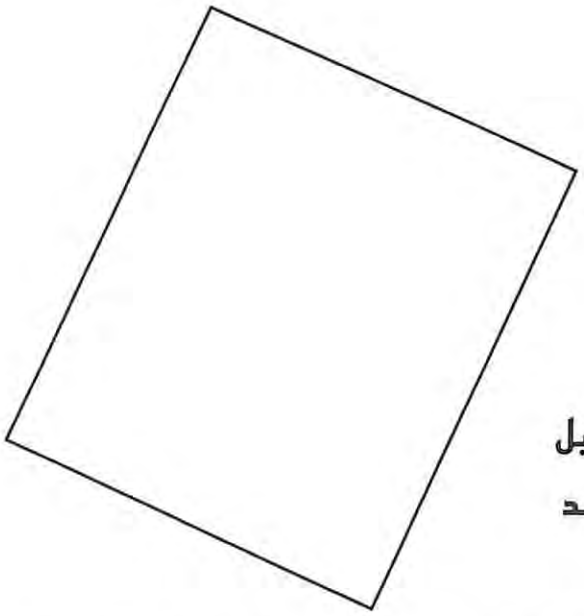

من بدائع الأدب الإسلامي

تأليف: د. محمد بن سعد الدبل

عرض: د. حسين علي محمد

يرى د. محمد بن سعد الدبل في مقدمة كتابه «من بدائع الأدب الإسلامي» أن مفهوم الأدب الاسلامي لا يتجاوز الكلمة الطيبة التي «أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»، كما يرى أن ذلك الأدب «استوى على سوقه في مرحلة عطاء، ويُسهم في انتشال البشرية من واقع الضياع والهلاك إلى واقع الحياة السعيدة الكريمة في ظل تشريعات الإسلام، وأحكامه العادلة، ومُثُله الرشيدة».

ويرى أن الأدب الإسلامي أدبٌ ملتزم، وأن فكرة الالتزام في الأدب الإسلامي هي «اللبنة الأولى التي يبنى عليها العمل الأدبي النابع من نفس مؤمنة، أمينة، صادقة فيما تقول... فالمسلم منذ اللحظة الأولى ملتزمٌ في القول والعمل».

ويصف الأدب الإسلامي بأنه «الأدب السمح، العف الكريم الذي يدل على الشخصية الإسلامية وتميزها فرداً وجماعةً، سلوكاً، ومظهراً، والتزاماً».

ويقع الكتاب في تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

في التمهيد وعنوانه: «الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق»، يعرض المؤلف للقيم الإسلامية التي جاء بها الإسلام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، ويبيّنّ موقف الإسلام من الشعر، ويرى أن نظرية الأدب الإسلامي حصاد جهود مكثفة في مجالات متعددة، ولا بد من مراعاة وحدات أربع هي: الحقيقة أو العالم الذي يعبر عنه الأديب، والمتلقي لهذا الأدب، والأديب، والنص.

- فالحقيقة هي الاقتناع والتسليم بوجود أسس ربانية متينة تُبنى عليها الحياة البشرية في مختلف ميادين الحياة: العلم، والاجتماع، والاقتصاد، والفكر...
- والمتلقي لهذا الأدب يجب أن يكون نقي الفطرة، أديباً، ذواقة يميز الجيد عن الرديء.
- والأديب: عليه أن يكتب ما يشعر به، على ألاّ يكون البعد الدلالي مخالفاً للثوابت الإسلامية.
- والنص: يجب أن تتوافر فيه الشروط الفنية، ليكون «أدباً»، مع تعبيره الجيد عن روح الإسلام، من خلال تقديم الكلمة الطيبة النافعة.

والفصل الأول بعنوان: «نصوص من الأدب الإسلامي»: في الخطابة، والرسائل، والوصايا، والعهود. وقد أورد خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع، وتناولها بالتحليل الأدبي والدرس البلاغي، ثم قدم نماذج من خطب أبي بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما. كما أورد بعض الوصايا التي يعدها من عيون النثر الفني، ومن غُرر الأدب الإسلامي وروائعه.

وفي الفصل الثاني وهو بعنوان «القصة الإسلامية: موضوعاتها وخصائصها الفنية» عرض لبعض القصص النبوي مبيناً خصائصها المعنوية والفنية، ثم تناول بالدرس والتحليل بعض القصص الإسلامية المعاصرة، ومنها: «نابليون في الأزهر» لنجيب الكيلاني، و«أختاه أيها الأمل» لأحمد بدوي.

وفي الفصل الثالث وعنوانه: «نصوص من الشعر الإسلامي» تناول عدداً من قصائد الشعراء الإسلاميين قديماً وحديثاً بالشرح والتحليل، من أمثال كعب بن مالك، وكعب بن زهير، وحسان بن ثابت، وخبيب بن عدي - رضي الله عنهم جميعاً - كما تناول قصائد أخرى للإمام الشافعي، والبوصيري، وأحمد شوقي، ويوسف العظم، وأحمد محرم، وعمر بهاء الدين الأميري... وغيرهم.

وقد أهتم المؤلف في هذا الكتاب بالتطبيق - كما يقول في «الخاتمة» «لأن الدراسة المنهجية لهذا اللون من الأدب قد تجاوزت مرحلة المنهج إلى التطبيق، وإن شداة الأدب قد أصبحوا بحاجة إلى تلمس الخصائص الفنية واستجلاء معالم الإبداع في العطاء الأدبي».

بناء الشخصية في القصة القرآنية

تأليف: د. مصطفى عليان

عرض: د. محمد علي داود*

بناء الشخصية في القصة القرآنية من مطبوعات دار البشير عمّان - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م وعدد صفحاته ٩٦ صفحة من القطع الصغير. بدأه مؤلفه بمقدمة تحدث فيها عن بواعث تأليفه، والأهداف التي حملته على توضيح مفهوم الشخصية عامة والإسلامية خاصة، كما أشار إلى بعض الأبعاد الجسمية التي وردت في القصة القرآنية، وعلل تحليله لشخصية النساء، ثم تحدث عن بناء الشخصية وخلص إلى أنها في كل إنسان نتاج تآلف بعدين، هما: عقليته، ونفسيته، ثم إلى تعريف الشخصية الإسلامية: عناصر بنائها وأبعادها وصفاتها الخمس عشرة الجامعة لصفات الكمال الإنسانية، التي حوتها آية البقرة «ليس البرّ» وأوجز حديثه عن ذلك مستعيناً بما في كتب التفاسير، ثم تحدث عن حرص الرسول صلى الله عليه وسلم».

على تكوين الشخصية المسلمة بمقوميها العقلي والنفسي، وبيان مدى أهمية تطابق الميول مع المفاهيم في تحقق ما تجمعه من كمالات، ثم تحدث عن بناء الشخصية في القصة القرآنية موضحاً صفاتها الجسمية وما اهتم به القرآن منها مما يفيد في تحقيق المقومات الأساسية لهذه الشخصية، كما وضح الصفات العقلية والنفسية وتناول المحاور التي دارت حولها القصة القرآنية محددة في شخصية الأنبياء والمؤمنين وشخصية الكافرين أفراداً وأقواماً فوضح في حديثه عن شخصية الأنبياء ما تقوم عليه مما يكشف ما تفرّد به كل نبي من سمات تتناسب مع من أرسل إليهم، كما تحدث عن حرصهم على بناء الإنسان بناءاً أساسه التوحيد، كما بين ما كان من تناول كل نبي ركناً عقدياً أضاء جوانبه وعرج على موقف نوح وإبراهيم من قومهما، ووضح «المعجزة الواقعة في الشخصية النبوية» وجانبيها: النبوي المعصوم والبشري العام وسمات كل جانب وأثر ذلك في تفرد الشخصيات وما وهبه الله لكل نبي من علم متميز في ذاته ومُميّزاً عما اختص به قومه والهدف من ذلك، وذكر من هؤلاء إبراهيم وموسى ويوسف وغيرهم ثم صنف المعالم العامة للشخصية النبوية وما يتعلق بذلك من أمور، وانتقل إلى الحديث عن النفسية البشرية في الشخصية النبوية ودور القص القرآني في تصويرها، وذكر دوافع أمور وردت من الأنبياء كسؤال إبراهيم ربه أن يريه إحياء الموتى ودوافع ذلك مما لا يتنافى مع العصمة أو القاعدة العقدية، ثم تحدث عن شخصية المؤمنين وما تتسم به ودور القصص القرآني في توضيحها متخذاً نموذجها مؤمن آل فرعون للرجل ومريم بنت عمران للمرأة موضحاً أسس اصطفاء الله لها وجوانب شخصيتها، وتحدث عن شخصية الكافرين وما جمعت من سوء وجعل نموذجها فرعون.

ثم تحدث عن شخصية الأنثى المتحولة من الكفر إلى الإيمان في صورة ملكة سبأ وما يحيط بها من أمور. ولقد استطاع المؤلف أن يقدم صورة واضحة إلى حد كبير تبرز بناء الشخصية في القصة القرآنية متخذاً من تحليل النماذج والنقاش والاستنتاج طريقاً إلى بلوغ هدفه.

(*) أستاذ بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر، ومعار الآن لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من كتبه: الشاعر هاشم الرفاعي - اغتراب وألم، والشكل والمضمون في شعر الشيخ إبراهيم علي بديوي.

ندوة تكريم الشيخ أبي الحسن الندوي

تدعو رابطة الأدب الإسلامي العالمية أعضاءها وسائر المهتمين بالأدب الإسلامي للإسهام في بحوث الندوة التي سوف تعقد لتكريم سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيس الرابطة، وتكون البحوث حول جهود الشيخ في المحاور التالية:

١ـ الأدب الإسلامي
٢ـ الأدب الأردي
٣ـ أدب الأطفال
٤ـ أدب التراجم
٥ـ السيرة الذاتية
٦ـ السيرة النبوية
٧ـ أدب الرحلات
٨ـ التربية الإسلامية
٩ـ العلوم الإسلامية
١٠ـ فقه الدعوة
١١ـ العمل الدعوي
١٢ـ قضايا المسلمين في الهند
١٣ـ قضايا العالم العربي
١٤ـ الفكر الإسلامي المعاصر

قواعد الإسهام في البحوث:

١ـ الالتزام بمنهج البحث العلمي.
٢ـ لا يزيد البحث على /٣٠/ صفحة.
٣ـ يلحق بالبحث ملخص لا يزيد على /٣/ صفحات.
٤ـ يكتب البحث والملخص على الآلة الكاتبة.
٥ـ ترسل /٣/ نسخ من البحث والملخص.

ترسل البحوث إلى مكتب البلاد العربية على العنوان التالي:
الرياض ـ ص.ب: ٥٥٤٤٦ ـ الرمز البريدي: ١١٥٣٤
على أن يكون آخر موعد لتلقي البحوث أول رمضان سنة ١٤١٦هـ